

٤) التواصل البصري :

إن العيون هي أكثر أجهزة إرسال الإشارات الاجتماعية التي نمتلكها قوة ، ولذلك أحيانا ما يطلق على العينين لقب نوافذ الروح والناس خلال المحادثات التي تدور بينهم عادة ينظرون في عيون بعضهم البعض لفترة تعادل ثلث وقت المحادثة ، ويوحي الوقت الأقل في ذلك بالملل أو عدم الاهتمام ، ويميل الأفراد إلى القيام بتوصلات بالعينين أكثر عندما يكونون في حالة استماع للآخرين ، أكثر من قيامهم بهذا عندما يكونون المتحدثون ، ويميل الأفراد الودودون إلى النظر إلى عيون الآخرين أكثر من الأفراد غير الودودين ، وهناك فروق ثقافية فيما يتعلق بالتواصل بالعين ، فعلى سبيل المثال :

الإيطاليون يميلون إلى النظر أطول من الإنجليز كذلك فإن الشابات الصغيرات قد يمثل تحاشي التواصل بالعين لديهن جانبا من نمط الحياء .

ولكى يحدث نوعا من التجاوب مع السامعين فإن ذلك يتطلب تواعلا بصريا مباشر ، فهو وسيلة من وسائل التواصل غير اللفظي تهدف إلى الحصول على الاستجابة نفسها من السامعين ، مما يزيد بشكل دال الثقة والصدق وكفاءة المتحدث في حالة التواصل البصري المرتفع عنها في حالة التجاهل أو عدم التواصل البصري والتواصل بالعين يساعد الطفل في التعبير عن ما يريد ، علاوة على أنه يقدم نموذجا للانتباه في عملية التفاعل ، ويبعد احتمالية أن يشعر بأنه غير مرغوب فيه ، مما يزيد من المشاعر السلبية ، وأنه من المهم أن يتحول الآباء لأبناء صم من التركيز على وسائل سمعية للتواصل ، وخاصة أنهم قد اعتادوا عليها وعززتها مواقف الحياة السريعة التي لا تجد وقتا للتعرف والنظر إلى الآخرين ، ويمكن للآباء أن يعودوا أنفسهم على تبني وسائل بصرية للتواصل ، أن يتخيروا نماذج ناجحة للتواصل سبق استعمالها من جانب آباء الصم مع أبنائهم مع تطويعها وفقا لاحتياجات كل طفل وظروف أسرته .

والأطفال الصم لابد لهم من الاحتفاظ بالانتباه البصري لكي يستطيعوا التعلم ، كما أنهم لا يستطيعون إغلاق أعينهم أو يستديرون بعيدا بل عليهم متابعة كل شئ عادي حولهم ، ولذلك تمثل المدرسة مصدر تعب وجهد للطلاب الصم عن عادي

السمع والذين ليسوا في حاجة أساسية للتواصل البصري لفهم المدرس أو الطلاب الآخرين .

ولابد أن ننظر إلى الأصم ليس كونه ذلك القابع بين جدران الصمت ولا هو واهن التفكير بطبعه ، ركب على العجز العقلي والانحطاط النفسي ، وإنما هو في قواه العقلية كالسامع سواء بسواء ، فإذا ما استطعنا أن نهيب له عن طريق المعينات البصرية والتخاطب ما فقدته عن طريق السمع ونبدله بعالم الأصوات عالما بصريا غنيا يفجر لديه الصور والمعاني ، بلغنا من أمره ما يجعله كائنا اجتماعيا سويا .

ويعتبر ادلر أن التفوق في نظره هو الدافع القوي إلى تحقيق الذات وهي الغاية النهائية التي ينزع جميع الناس إلى بلوغها ، ويرى كذلك أن تحقيق الذات دافع فطري وجزء من الحياة ، بل يؤكد بإصرار أنه الحياة ذاتها ، منذ الميلاد وحتى الممات يحمل الفرد الكفاح في سبيل التفوق الإنساني في مراحل النمو المختلفة ، كما ذهب إلى أن مشاعر النقص تدفع الإنسان إلى التغلب على نقصه وتجذبه الرغبة في التفوق ، ويؤكد أن الإنسان يصنع شخصيته أنه سيد مصيره .

ومن هذا المنطق فإن توظيف الحواس لسد النقص أو العجز في عمل إحدى الحواس عن طريق تحميل جهد الحاسة المفقودة على الحواس الأخرى ، أو على حاسة بعينها ، كعمل تعويضي يقوم به الجسم من تلقاء نفسه تبعا للحاجة أو يقوم به الفرد من خلال تدريب منظم .

وفقدان الأصم حاسة السمع يجعله يعتمد بشكل أساسي على حاسة الإبصار ، حيث أن الطلاب المعوقين سمعيا يسمعون بعيونهم ، كما لو كانوا يسمعون بأذانهم ، كما يجب أن ينظروا من مسافة ما بين (٥-١٠) أقدام من المتحدث إليهم ، ولا يغلقون عيونهم ، بل عليهم النظر بانتباه شديد .

كما أشارت اختبارات مهارات الحيز البصري لدى أطفال صم ذوي فقدان سمعي تام منذ الميلاد ، إلى أن الصم يعتمدون على المعلومات البصرية للتواصل والتعلم ، كما أنهم أكثر براعة في التعلم البصري عن العاديين ، وأنهم يختلفون في مهاراتهم

البصرية فيما بينهم من فرد إلى آخر . ولذلك فإن الأصم يقوم بتحليل المعلومات البصرية ولذلك فهو لا يستخدم حاسة السمع في التواصل مع الآخرين ولكنه يعتمد اعتمادا مباشرا على حاسة البصر ، ولا يستطيع تحليل المعلومات اللغوية والسمعية .

والأصم قادر على التعلم إلى المدى الذي تسمح به قدراته وإمكانياته ، رغم انه ليست لديه القدرة على اللغة والكلام ، إلا أن لغة الإشارة وأسلوب التواصل اليدوي يترجم شأنه شأن أي لغة في التعامل والفهم وهي من الطرق المرئية التي يعتمد فهم المعوق سمعيا لها على استخدام حاسة الإبصار وتعتمد على الوصف في الفعل أو الحركة ، وقد تستخدم في اللغة أيضا حتى مع الأفراد العاديين في مجال الفن ، فكثير من المسرحيات عرضت بواسطة التمثيل الصامت ولغة الإشارة ولاقت نجاحا ، كل ذلك بالاعتماد على حاسة الإبصار .

وقد يظن البعض أن التفاعل بين الطفل والأم يقتصر على الصوت فقط ، ولا ينتبه إلى التفاعل البصري وهو على درجة بالغة الأهمية .

فقيام الطفل بتوجيه بصره نحو الأم يدفعها إلى تركيز بصرها نحوه ، كما أن توجيه بصر الأم نحو الطفل يدفعه إلى إظهار نفس السلوك ومبادلة النشاط البصري بينهما ، وهذا التفاعل البصري بين الأم والطفل لا يقتصر على تبادل النظرات ، بل يحمل رسائل ذات معان بليغة .

فالتواصل البصري الإيمائي هو أول خطوة في العمليات اللغوية تبدأ بشكل فعال خلال نسق أو محتوى البيئة الاجتماعية ، كما أن اكتساب اللغة يعتمد على حاسة الإبصار ، والتواصل البصري ييسر عمليات اكتساب اللغة